

تفسير ابن كثير

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ

وقوله : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) يعني : مثل

هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين ، وقول المنافقين لهم : (

وإن قوتلتم لننصرنكم) ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال ، تخلوا عنهم

وأسلموهم للهلكة ، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله -

الكفر ، فإذا دخل فيما سوله تبرأ منه وتنصل ، وقال : (إني أخاف الله رب العالمين

(وقد ذكر بعضهم ها هنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل ، لا أنها

المرادة وحدها بالمثل ، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير

: حدثنا خلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شميل ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت

عبد الله بن نهيك قال : سمعت عليا رضي الله عنه ، يقول : إن راهبا تعبد ستين سنة ، وإن

الشيطان أراد فاعياه ، فعمد إلى امرأة فأجنها ولها إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا

القس فیداویها . قال : فجاءوا بها إليه فداواها ، وكانت عنده ، فبینما هو یوما عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها ، فقال الشیطان للراهب : أنا صاحبك ، إنك أعیتني ، أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك ، فاسجد لی سجدة . فسجد له ، فلما سجد له قال : إني بریء منك ، إني أخاف الله رب العالمین ، فذلك قوله : (كمثل الشیطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بریء منك إني أخاف الله رب العالمین) . وقال ابن جریر : حدثني یحیی بن إبراهیم المسعودی ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن یزید ، عن عبد الله بن مسعود فی هذه الآیة : (كمثل الشیطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بریء منك إني أخاف الله رب العالمین) قال : كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوي باللیل إلى صومعة راهب . قال : فنزل الراهب ففجر بها ، فحملت ، فأتاه الشیطان فقال له : اقتلها ثم ادفنها ، فإنك رجل مصدق یسمع قولك . فقتلها ثم دفنها . قال : فأتی الشیطان إخوتها فی المنام فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها فی مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم :

والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا : لا بل قصها علينا .

قال : فقصها ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك . فقالوا : فوالله ما هذا إلا لشيء . قال : فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب ، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقية الشيطان فقال : إني أنا الذي أوقعتك في هذا ، ولن ينجيك منه غيري ، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه . قال : فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه ، وأخذ فقتل . وكذا روي عن ابن عباس ، وطاوس ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك . واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا ، والله أعلم .

وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد ، فإن جريجا اتهمته امرأة بغي بنفسها ، وادعت أن حملها منه ، ورفعت أمره إلى ولي الأمر ، فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول : ما لكم ؟ ما لكم ؟ فقالوا : يا عدو الله ، فعلت بهذه المرأة كذا وكذا . فقال : جريج : اصبروا . ثم أخذ ابنها وهو صغير جدا ، ثم قال : يا غلام ، من أبوك ؟ قال أبي الراعي - وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه - فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا ، وقالوا : نعيد صومعتك من ذهب . قال : لا بل أعيدوها من طين ،

کما کانت .